

برل الاشتراك عن ستة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

عن هذا العدد ٢٠ ملياً

البرقيات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للدراسة والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المشؤل

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - هاديين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٢٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ - ٢ إبريل سنة ١٩٥١ - السنة التاسعة عشرة »

٨- الدين والسلوك الإنساني

للاستاذ عمر حليق

الجماعة الدينية:

توصلنا في الفصل السابق من هذه المعراسة إلى القول بأن وظيفة الدين لتحقيق التكافل الاجتماعي في الجماعة الإنسانية تتوقف على صدق الإيمان والاختيار الديني لدى أعضاء تلك الجماعة وعلى مدى تحديد العقيدة الدينية التي تدن بها الجماعة لأسس فذلك التكافل

ورأينا أن سلامة العقيدة الدينية وحياتها من التحور والتبديل شرط أساس لحفظ ذلك التكافل الاجتماعي (١) وهذا لا يعنى الجحود والتصصب وإقفال باب الاجتهاد

فالشككة في صيانة العقيدة وسلامتها ووصف المدافعين عنها بالجحود والرجسية والمقدين عليها بالإلحاد والزندقة ترجع إلى

(١) فأخذ الكنيسة الكاثوليكية بهذا الرأي وقد شرح هذه المعينة بإسهاب قناسة البابا يوس الثاني عشر (عاهل الكاثوليك والكنيسة الكاثوليكية حالياً) في ملتحوره البابوي عن العقيدة الصادر من روما في ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٠

الخطأ في تفهم معنى السلامة وتمتزي الصيانة فإذا كان للدين أن يكون وسيلة جوهرية فعالة لحفظ التكافل الاجتماعي وتمتيته يجب أن تحدّد وظائفه ومبادئه. وهذا التحديد لا يمكن أن يمس العقيدة لأن العقيدة فطرة وغريزة كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم (٣٠، ٣٠) « فأقم وجهك للدين حنيفاً. فطرة الله التي فطر الناس عليها. لا تبديل لخلق الله. ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ». وقد استمرضنا في مكان آخر من هذا البحث رأى بعض علماء الاجتماع والأنثولوجيا في صدق هذا القول

فالاتجاه إذن في بحث الفلسفة الدينية لا يخضع لأصول المنطق العلمي إذا توخى التمرض للدين من حيث أنه عقيدة. فالعقيدة الدينية قديمة في السلوك الإنساني قدم الأزل لم يطوح بها تطور الفكر الإنساني في العلوم والفنون ولئن سمى بعض الناس إلى تحديد معنى الدين ووظائفه فإن سمعهم هذا كثيراً ما يمد من قبيل سوء الاجتهاد إذ اتهمد من العقيدة مساوية أو غير رقيق

والاجتهاد القى من هذا القبيل يبدأ في هدم الأساس الذي يحاول واعياً أو غير واع أن يبني عليه تكافلاً اجتماعياً جديداً فالعقيدة فطرة غريزية وظيفتها محددة مميّنة أصولها في النظام الكوني والتكويني النفساني والجسماني للإنسان. ولقد أساب النزالي حين شبه العقيدة الدينية بجذع الشجرة ووظائف الدين

على أسس تلك المشاكل الاجتماعية المستجدة وعلى جوهر الآراء
والنظريات التي تتحدى الدين ووظيفته

فالذين يحملون على الدين ووظيفته الاجتماعية هم في معظم
الحالات منتقرون إلى الاختبار الديني الصادق ، أو بمعنى آخر
مفتقرون إلى الثريزة الدينية الفطرية التي هي - كما رأينا -
جزء من نظام الكون والتكوين النفساني والمغلي والجسماني
للإنسان . فاجتهادهم إذن اجتهاد مريض فقد غريزته لجاء اجتهاده
وتفكيره وتحليله مشوها لا تتوفر فيه عناصر الكمال

وحفظاء الدين الذين لا يتمفرون على جوهر المشاكل الاجتماعية
والمذاهب الفكرية والسياسية والاقتصادية المماصرة عاجزون -
سواء اعترفوا بذلك أم لم يعترفوا - عن صياغة اجتهادهم في
قال بحق النفع الجزيل . فهم والحالة هذه يفتقرون باب الاجتهاد
ويحولون بين الدين وتأديته وظيفته الاجتماعية - سواء أدركوا
ذلك أم لم يدركوه

فلو طبقت هذا الوضع على حاضر العالم العربي لوجدت كلا
النيقيضين ولوجدت تحدياً للدين من جماعة فقدوا غريزتهم الدينية
الفطرية - أو طمروها تحت ركام من التعليل المنطق السبي -
ولوجدت كذلك إجابة على هذا التحدي من بعض حفظة الدين
الذين يفتقرون إلى سلاح المعرفة الحديثة وهي معرفة شاسعة
مقدمة لا يكفي للتعرف عليها دروس من الجغرافيا والحساب
والطبيعة والكيمياء

فالكثيرة العربية فقيرة فقرأ مدققاً في أكثر ما تطفح به
التقافات المماصرة من فلسفة ودراسات اجتماعية بنيت عليها
المذاهب الفكرية المماصرة - اجتماعية كانت أم فلسفية
أم سياسية أم اقتصادية - التي تتحدى الدين ووظيفته الاجتماعية
واقدم واجهت العقيدة المسيحية في أوروبا وأمريكا مثل هذا
التحدي في الأزمنة الحديثة فسمت معاقل الديانات المسيحية
لمواجهته بالتسلح بالعلم الحديث

وقد تمنى لكاتب هذا السطور أن يلمس عن كذب ثروة
مناهج العلم والتدريس في بعض للتخلل للرئيسية للمسيحية في
أمريكا؟ وبرامج التدريس المالي في هذه المؤسسات لا تترك تاردة
ولا وأردة من العلم الحديث إلا خصصت لها حصصاً تكافؤاً وأهميتها

الاجتماعية بالأعمان . وقد يستطيع عالم النبات بمعادة حديثة
أن يطعم غصون الشجرة لتؤتي ثمراً حديثاً . قد يكون الذ من
التمر الأصلي أو قد لا يكون ولكن عالم النبات ان يستطيع
أن يسايط معادلة على صميم التكوين الطبيعي لجذع تلك الشجرة
وإلا قتلها

وامل هذا التثل ينطبق على سوء اجتهاد بعض الباحثين في
تعرضهم للعقيدة وفي سببهم لتطعيم الدين بالمستجد من التطور
الفكري والاجتماعي الذي غر به الإنسانية في مجرى التاريخ
والإشكال الذي صاحب تاريخ الديانات يعود إلى سمي
بعض أولى الفكر لتطعيم العقيدة الدينية بالآراء والنظم التي
استمدوها ، من بينهم الاجتماعية والفكرية . وهذا خطأ وصوابه
أن توجه تلك النظم والآراء الفكرية والاجتماعية بحيث تلازم
جوهر العقيدة الدينية . وذلك لسبب بسيط وهو أن العقيدة فطرة
غريزية هي من صميم الوجود ؛ بينما النظم والآراء المستجدة متقلبة
تبعاً لتطور الفكر والبيئة والأوضاع السياسية والاقتصادية

فالصراع يصبح إذن بين الثريزة الفطرية السليمة وبين البيئة
والتطور الفكري . فالأولى أبدية راسخة والثانية متقلبة بتقلب
الظروف والملازمات

والاجتهاد عادة ضرورية للنمو المغلي . فإناك لن تستطيع
أن توقف عقرب الساعة وتؤجل استمرار الزمن . والشاكل
الاجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات والأزمنة ، ولا بد للدين أن
يؤدي وظيفته الاجتماعية إلى جانب وظيفته الروحانية الفطرية
الغريزية . ولن يكون ذلك بإقتال باب الاجتهاد على النحو الذي
يدعو إليه بعض حفظة الدين في إخلاص وصدق لإصراف فهمها .
فمثل هذه الدعوة هي أيضاً من قبيل سوء الاجتهاد . فهي تنكر
على الزمن تطوره وعلى للفكر نموه وعلى المجتمع اضطراد مسيره
وميلاد مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة فيه

والإخلاص والصدق في الدفاع عن العقيدة الدينية وجوهرها
وأصولها اجتهاد حميد ولكنه لا يكفي لمواجهة التحدي الذي
بواجهه الدين في عالم يزخر بالمستجد من المشاكل والآراء
والنظريات التي لم يبالغها الدين في القرون الغابرة
وهذا التحدي للعقيدة الدينية وحفظها يستوجب التعرف

ومبلغ محمديها للمعقيدة المسيحية الدينية . فهناك فصول في علوم الاجتماع والنفس والاقتصاد والفلسفة السياسية والهندسية والفيزياء المالية والكيمياء المتقدمة وألف نوع ونوع من العلوم الحديثة تدرس في أرقى مناهج التعليم وأحدثها . وطلبة العلم في هذه المؤسسات يلتقون المعقيدة الدينية وترسخ فيهم ويؤمنون إيماناً صادقاً مخلصاً ثم يدفنون إلى التحصن ضد أسلحة الإلحاد بالتعرف على جوهر تلك الأسلحة علمية مادية أو فلسفية منطقية

فليس من الغرابة أن نجد قسيساً في أمريكا الآن بروستانتياً أو كاثوليكياً يحمل شهادة الدكتوراه في الاقتصاد أو الهندسة أو العلوم الطبيعية بالإضافة إلى شهادة اللاهوت . بل أواقع ان هذا الاتجاه أخذ ينتشر الآن انتشاراً واسعاً في معظم المهاد الدينية في بريطانيا وأمريكا على وجه الخصوص وقد لخص أحد أقطاب الفكر المعاصر في أمريكا (١) هذا الاتجاه فقال : -

« المرء عدو لما يجهل ولكن عداءه يزداد قوة إذا تعرف على ما يجهله واكتشف فيه مواطن الضعف والقوة . فإني أهاب بحفظة الدين وخصومه على السواء أن يحاولوا - قبل أن يتخطوا المنطقة الحرام - التعرف نمرقا إيجابيا صادقا على مواطن الضعف والقوة في جوهر تلك الخصومة . فهم لا يد مدركون بالعلم والدين أنهما متماثلان ببعضهما البعض وكل ما يستجلب الدهشة والحالة هذه ملاقة ببعضهما البعض على سعيد من المعرفة الحقة لجوهر الأشياء لا نظاواهما . وهذا تزداد عدائتهما قسوة لا لبعضهما بعضا ولكن للجهل الذي ولد بينهما الخصومة »

ولعل أبرز مزايا حركة الإحياء الديني للإسلام في الباكستان تعود إلى فساح قادتها بهذا السلاح المردوج الذي قوامه مدق الاختيار الديني والإمام بالعلوم الدينية في أعلى مراقبها فأت حين نطالع آثار هؤلاء القادة تلمس اتساع الأفق

وقوة الإقناع والاعتزاز بالمعقيدة اعترازاً لا يمود فقط إلى رسوخ الاختيار الديني والتقوى في نفوس هؤلاء المصلحين بل إلى إلامهم إلاماً واسماً بالعلوم وعلى ترانها المعاصر والقديم في الشرق والغرب وإلام هؤلاء السادة بهذه العلوم واستيماهم للتصايم الإسلامية استيماها شاملاً مهد لهم سبل الإيمان بقوة الدين الاندفاعية وصلحها لبناء مجتمع صحيح لا يتعارض مطلقاً مع المستجد المعيد في الحضارات الغربية المعاصرة . وأبحاث هذه المدرسة الفكرية الإسلامية في الهند والباكستان لا تعتمد على اللفظ والإنشاء والتبرير أو الاعتذار والوقوف موقف المدافع عن الدين وتماليمه ، وإنما تتوخى تطعيم النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية المعاصرة التي وجدت سبيلها إلى حاضر المسلمين بجوهر المعقيدة المحمدية وتماليمها . وحركة الإحياء الديني على هذا الأسلوب تترك المعقيدة الدينية وشأنها فهي أجل من أن يجادل وترج في معترك الجدال البنزطلي ولأنها - وهي غريزة فطرية - لا تستدعي التكرار والشك فهي تدم من الوجود الإنساني وجزء من فلسفته وحقيقته . إنما الاتجاه الرئيسي في حركة الإحياء الديني هذه تتوخى صياغة النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في قالب إسلامي . وترات الإسلام - وهو دين عملي وديني - زاخر بالأسباب التي تشمل هذه الصياغة وتجمل منها أسلوباً جديداً من أساليب الحياة ، حياة الروح والمادة ، وبذلك تحقق للدين تأدية وظيفته الاجتماعية - وهي وظيفة رئيسية على وجه لا يثير الاعتراض ولا يستدعي الثورة الجامعة الماصفة وإنما يسهمى الأفتدة والمقول . فإذا تسلم المصلح بالوجدانيات ، المستمدة من الاختيار الديني وواجه بها مشاكل المجتمع ، وبالعلم الحديث ثم ساع الحلول في قالب منطقي مقبول استطاع أن يوجه الحياة العملية في نشاط فريد وفي روحانية تجند لتعصرتها المقول الديني «المالانية» التي لا تؤمن إلا بالمنطق المادي والقلوب المؤمنة التي تبحث عن المجتمع الصالح في إطار الشريعة والحياة الدينية

(١) جينز كانون رئيس جامعة هارفرد في خطاب له أمام المحفل الأمريكي للكنائس السجية عام ١٩٤٩ أنظر كذلك كتابه : -